

نظام الحكم فيها ، والدفاع عنه ضد أى تغيير . وبإبعاد الناشئة هكذا عن نفوذ الأسرة لم تفسد تكوينهم للمواطن المائعة التي يسرف الآباء في إحاطة أبنائهم بها ، ولا شواغل المال والفقر التي هي دائماً حديث الأسرة . فماشوا في أماكن جميلة ، واكتسبوا بمعايشة بعضهم لبعض واشتراكهم في الحياة المدرسية صفات الرجولة للنبيلة التي خلقت منهم خداماً للوطن مطيعين ، وقضاة أوحكاماً أو إداريين زهينين ، رائداهم للمدل والحق وهذا النوع من المهاد وما يليه من الجامعات أحسب جيداً بالصيانة والبقاء . ولو كنت أعرف أنه من المجدى حث شخص مثلك لنصحتك أن تجملوا نظام هذه المهاد جزءاً من نظام تربيتكم الحديثة ، ولكن ينعنى من حتى هذا اعتقادي أن هذه المهاد لم تبلغ في تطورها درجة الكمال . وذلك لأسباب حيوية ثلاثة : السبب الأول هو أن أبناء مدارس أولاد الأعيان لم يتخرجوا فيها على فلاسفة ، ولكن على أفراد لا يمتازون كثيراً عنهم . ونتيجة هذا أنهم حيناً أصبح زمام الحكم بأيديهم لم يستطعوا توجيه جمهور الشعب من عمال وصناع وتجار التوجيه الصحيح الصالح . ذلك لأن عصر الاختراع العلمى السلى قد أتاح لهذه الطبقة من الشعب أن يجمع القناطر المقنطرة من الثروة بجهود قليل . ولم يكن عند طبقة الحكام وولادة الأمر من قوة للتغلب ولفسفة الحكم ما يجملهم بتداركون ما حدث من نحو حب المال في نفوس الشعب ، وروح الطمع والجشع المادى . وسرت هذه المدوى لطبقة الحكام أنفسهم ، بل رجال الدين فلم يحاربوا هذه الميول ، وأصبحوا خاضعين لها بدلاً من خضوعهم لنداء للعقل والحكمة . وإننى أعتقد أن ما اتصف به حكامكم من أخلاق كريهة ظاهرة خفف كثيراً من حدة الطامع المادية الاستعمارية . وكثيراً ما قضت أخلاقهم الكريهة على أسوأ ما فى هذه الطامع من آثار . وإننى أصدقك النصح أنه لن يمكنكم أن تمشوا آمينين ، وأن تبقىوا على نراه شعبكم إلا إذا حرمت ملكية الأرض والشركات وروس الأموال على حكامكم ، وأصبحوا هم عقلاء وذوى عزيمة قوية يجمعون بها عزيمة حب للمال والكسب . والسبب الثانى هو أن هذه المدارس كانت ولا تزال غير خاضعة لإدارة الحكومة ، ومقصورة على هذه

محاورة أفلاطون الخيالية

حول التربية الانجليزية

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

— ٤ —

التربية في كل الأمم وسيلة لامداد الحكام والمحكومين . ويسير نظام التربية دائماً نظم الحكم القائم . ولما كان نظام الحكم ديمقراطياً في إنجلترا كانت الناية من التربية فيها هي أن يرف الفرد كى باسم ينصيه في الحكم الديمقراطي ، أو الحكم الذاتى ؟ أى حكم النسب نفسه ينشأ . وقد أظهر أفلاطون — نيا سين — منبره من محاورته — شك في أن نوع التعليم الذى يتلقاه الشعب في المدارس الأولية كاف لامكان الفرد من الاشتراك في الحكم الديمقراطي بانتخاب ممثله النيابى ، والاعتراف على سياسة الحكومة . ويرى أن يترك أمر الحكم نهائياً للجامعين الذين هم خيرة أبناء الأمة ثقافة . وللربى الانجليزية لا يشاركه هذا الرأى ، لأنه ينصر الحكم على الطبقة المتصلة من أبناء الأرستقراط . وفي هذا رجوع إلى الوراء بنظام الحكم إلى العهد القديم الذى كان رجال الحكم فيه هم أولئك الذين تخرجوا في مدارس أولاد الأعيان (١) . وهنا يبدأ أفلاطون هذا الجزء الأخير من محاورته .

ومدارس أولاد الأعيان هذه أقدم مؤسسات التعليم الانجليزية . وهي طراز من مدارس التعليم الثانوى . ومن أشهرها أيتون وهارو . ولا يدخلها إلا أبناء الميراث لكثرة نفقاتها . وفيها تخرج عدد كبير من قادة الرأى ، والساسة الانجليز ، وأغلب أعضاء حزب المحافظين . وبالرقم من فضلها التاريخى في نهضة إنجلترا نجد الآن من يقول بعدم صلاحيتها في عصر الديمقراطية .

أفلاطون : لقد ذكرت في حديثك السابق مدارس أولاد الأعيان ، وإن ما سمعته عنها يجلنى أوقن أنها كانت يوماً ما ذات آثار جليلة . فقد كانت تأخذ الناشئة من أبناء الأرستقراط ، وتبدمهم عن نفوذ الأسرة ، وتقدم إليهم نوعاً من التربية السليمة في الأخلاق ، وآداب اللغة ، والتجارب البدنية والألعاب ، من غير أن تحاول تنمية للناحية العقلية الفلسفية عندهم . وبهذا حرصت في نفوسهم حب الطاعة ، والإخلاص لتقاليد البلاد واحترامها ، وصاغت منهم نماذج سالحة لتكون حكاماً أمثاء ، وجنوداً أشداء ، فقدوا للنية على صيانة دستور البلاد ، وحماية

وهي تخرج رجال يخدمون العالم ولا ينتقدونه ، فرحين بالقدر
اليسير من المعارف التي ينتجونها والعلم الذي يخدمونه وبالعبادات
للشفعية التي يفوهون بها في محاضراتهم وأحاديثهم عن المثل للعالميا
للحرية العملية والمدالة العالمية

وفي هذه الحال يجب عليك أن تفعل كما فعلت أنا ، فتؤسس
مجاهد تنافس هذه الماهد العملية ودور للتربية للقائمة الآن ، جاهلاً
غايك خدمة الحقيقة ، والحقيقة فقط ، معلناً أن الحقيقة واحدة
لا تتغير في كل زمان ومكان ولكل فرد . وسوف تهتم بالتحيز
والتمصب ، وأنتك تفسد عقول الشباب بتعاليمك ، وتحطم المثل
العليا للبادئ العملية الصحيحة ، فلا تصنع لهذه التهم واذكر
أن الرجل للعالم إذا لم يكن أيضاً رجل عمل فليس جديراً أن ينسب
إلى أسرة العلماء الأكاديميين ، ولتكن الدراسة في جامعتك شاملة
للبحوث العملية وللدربة واليران لمباشرة الإيالة^(١) واكتب على
باب جامعتك هذا الشعار « يجب أن يكون الحكم للعلم فقط » .

ومتى نبنت هذه العقيدة في قلبك فلن يزجرك ماتهم به من التحيز
أو التمصب ، ومن إفساد عقول الناشئة ، لأنك ستعرف جيداً
أن كل حقيقة جديدة يتهمها للناس بالزيف ، وأن اسم العدالة
أداة تستخدم لإخضاع المصلحين للنظام القائم . وهناك تغيير
آخر يجب أن يدخل على عقائد طلابك ، إنهم في هذه السن كرام
النفوس ، بيض القلوب ، يمتقدون بسذاجة أن الحقيقة والحكمة
يمكن أن تسودا بطبيعتهما على القوة والحيلة ! وبهذا ينزلون
ميدان الحياة غير مسلحين لينزوا للعالم . وسرعان ما يسفر النضال
عن رضوخ في الرأس ، وانحداع في التفكير ، وحينئذ يظهر لهم
أن الشر الذي يبش ويترعرع في القوة عدو لا يمكن ملاينته
بالكلمة اللطيفة والمأطفة النبيلة ، بل يجب أن يضرب ويصنع
حتى يخضع ويصنف في الأغللال ، وبهذا لا يستطيع النهوض
مرة أخرى . وهذا الدرس يجب أن يلقاه طلبتك كل يوم في
جامعتك الجديدة ، كما يجب أن يكتب فوق مدخل الجامعة شعار
آخر وهو « لن يدخل هذه الجامعة عبء للعلم » . ثم ذكر طلبتك
داعماً أن حكم العقل لم يستطع ولم يفلح أن يسود البشر ولو مرة
واحدة في التاريخ باللين والرفق . ولهذا وجب على الفيلسوف أن
يكون مستعداً لمواجهة خصومه بقوة وعزيمة أشد من قوتهم

الجماعة للثنية من الشعب التي لها من وفرة المال ما تنفقه بسخاء
على تلميم أبنائها . وربما لم تكن هناك فائدة من خضوع هذه
المدارس لإدارة الحكومة في الوقت الذي كان فيه رجال الحكومة
أنفسهم من الأعيان ورجال المصارف وأغنياء للتجار وأصحابهم .
أما الآن والحكومة شعبية ، وليس من الضروري أن يكون
أفرادها من الأغنياء ، فإن هذه المدارس يجب أن تكون حكومية
لا خاصة ، وأن تفتح أبوابها لكل من تؤهله مواهبه للتعلم فيها
من أبناء الشعب . والسبب الثالث هو أن جامعاتكم لم تدرك تماماً
المهمة الإلهية التي نصبها الله من أجلها ، لأنها وهي تخرج
الزهدوس المفكرة في الدولة لم تصن خريجياً عن الطامع المادية
وشهوة المال . والنتيجة هي أن رجال الحكم من أبنائها بدلاً من
أن يخضوا المادة لمبادئهم خضعوا هم لها .

من كل ما ذكرته تستطيع أن تعرف أي أنواع الإصلاح
أريد إدخاله على نظام التربية . يجب أن تبدهوا من اللقمة تتصلحوا
من الجامعات حتى تنتج نوع الحكم القوي محتاج إليه بلادكم .
ولمت أزعم أن هذا سهل التحقيق . إن العلماء ولو أنهم يمشدقون
داعماً باسمي ، وبذكروني بالإعجاب والثناء ، لم يفهموني جيداً ،
ولم يفهموا للغاية « من أكاديمي »^(١) التي أسستها حتى لقد حرفوا
معنى عبارة « للتفكير الأكاديمي » ، فأصبحت تدل على كل تفكير
عقل لا يمت للحياة العملية بسبب . وأنا أعرف بالطبع إلى أي حد
يكره فلاسفة هذا للعصر وعلماؤه الحياة الحالية المحيطة بهم
ويحتقرونها ، وهم لا يريدون في الوقت نفسه أن يترفوا أنهم
طلقوا هذا النوع من الحياة لا لسبب إلا لأنهم مجزوا عن إقتناغ
ولاة الأمر والمشرفين على شئون الأمة بمبادئهم الفلسفية السامية .
ولا بد أن تتفق من أنه لا فائدة من هؤلاء للفلاسفة العلماء ،
لا لشعبهم ولا للعالم إلا إذا اعتقدوا أن هذا العالم يجب أن يحكم
بمبادئ العقل والحكمة التي يداخون عنها . وأظن أن هذا بيد
الحصول ، لأن العلماء والأساندة الذين يمتنون بحياة مريحة ،
ورزق مضمون ، وهم مطمئنون لأرائهم وفلسفتهم الشخصية ،
ليسوا مستعدين إلا قليلاً أن يخطروا بكل هذه الزايات في سبيل
إعانة غيرهم . لهذا ستظل جامعاتكم في الغالب قائمة بوظيفتها ،

(١) أكاديميا اسم السابين التي أسس فيها أفلاطون معهداً الذي سمي
بهذا الاسم ، وكان قد نيف على الأربيين حين تأسيس هذا المعهد ، ومن
بين تلاميذه أرسطو

في هذه المدارس للبنين والبنات معاً من غير تمييز ، ذا كراً دائماً أن غايتك هي إعداد شعب من الجنود والإداريين ، لا هذا النوع من الجنود ولا من الجنس اللطيف ذي النيد والرقه الذي يتخرج في مدارسكم الآن . ويجب أن يكون النظام شديداً قاسياً يمرن للفن والجسم معاً على الدقة والطاعة والانتان ، ويكون في ذوق للتلاميذ الإعجاب بما هو بسيط ومتين من مظاهر الجمال التي لا يشين الجندي التحلي بها . ومن أجل هذا يجب أن يتعلموا مبادئ الحماة والدلوم ، وأن يدرسوا اللغة . هذا إلى معرفة خير منتجات آدابكم وموسيقاكم ، وأنواع الرياضة والألعاب العسكرية ومتى نلت هذا وجدت أنه من السهل حل معضلة التربية ، تربية تامة لطبقة الشعب التي من أجلها عقدنا هذه المحاوره . وإذا علمت أن طبقة الشعب هذه غير قادرة على أن تحكم نفسها بنفسها أدركت أنه من الضروري أن تنمي فيها روح الخضوع والطاعة للحكام . وما دام من غير الممكن أن تعيد نفوذ الكنيسة التي ربى هذه الروح في الماضي ، فلا بد إذاً أن تكبت كل للكبب المذاهب الدينية المختلفة السائدة الآن في بلادك والتي لا يفتأ بعضها يحارب بعضها ، وأن توجد أنت ديناً سياسياً من عندك يقضى بالإعدام على كل من يؤيد مذهباً غير مذهبك الديني . ولن تستطيع أن تفعل هذا إلا إذا كان لك الإشراف المطلق على النشر والطباعة وعلى الإذاعة وكل وسائل الإعلام ، وتسن إلى جانب هذا قانوناً يحظر تعليم أي أفكار أو مبادئ - كتابة أو شفهيًا - من غير ترخيص من الحكومة ، وإلا فالعقوبة الإعدام . فإذا ما فلت كل هذا كان لك أن تأخذ الشعب بأي نوع من التربية نشاء ، بشرط أن تتأكد أن هذا النوع الذي تختاره من التربية لا يشمل شيئاً من الحقائق أو اللوم ، ولكنه مجموعة أكاذيب نبيلة تلائم أولئك الذين لا تصوبهم عقولهم إلى مرتبة إدراك الحكمة الصحيحة ومعرفة الله

الربي : شكراً جزيلاً على اقتراحاتك ، وليس عندي من شك أنها تنفق ومبادئ حزب جديد نشأ عندنا يسمى الحزب الفاشستي فليك بريسه

أفلاطون : لم أتشرف بعد بمعرفة رئيس هذا الحزب ، فإذا كانت اقتراحاتي بروقه ، فسأعمل على لقاءه

(ينبع - تحت الرضا - السودان) عبد العزيز عبد المييد

وعزبتهم . وأنا أنصح للفيلسوف أن يدبر بالقوة ، لأن أعم أن مبادئه ستكون دائماً هرسة لبعض الناس ، على عكس المبادئ الأخرى التي بروجها أعداء للفلسفة من حقائق موهبة يخذعون بها غيرهم . لهذا يجب أن يسلح الفيلسوف نفسه بكل أنواع القوة والشدة حتى يروض شهوات الشر المادية الجامحة فتخضع لحكم المعرفة . دع طلبتك إذاً يملوا أنهم إذا أرادوا أن يتقنوا بلادهم من الخراب فليهم ألا يجهلوا روح السلم تسيطر على قوسهم ، بل يجب أن يالفوا نظام الجندي ، وأن يدربوا على الروح العسكرية ، تلك الروح التي لا تقشع من سفك الدماء في سبيل المصلحة العامة ومتى ثبتت أركان جامعتك وأصبحت تشرف على شئون الدولة فوجه عنايتك بعد ذلك للمدارس ، وهنا يجب ألا تزجك أخطار مبادئ الفاشستية أو الاشتراكية الوطنية التي ذكرتها أنت في حوارك مني . فانت توافق على أنه حتى الحكومات للمدينة لها بعض الحسنة ، وستمس وتمجب حينما تعرف أن ألمانيا وإيطاليا قد اتخذتا كثيراً من تقاليد بلادك وعاداتها ، ولا سيما نظام مدارس أولاد الأهبان عندكم ، ولكن بشيء من التهذيب يناسب حاجات الوقت الحاضر . وأعتقد أن هذا الخبر سيصلك أكثر تطلقاً بهذه المدارس فتبقيها كركن قوي للتعليم عندكم في المستقبل ، وستقبل عليها مفتحة أبوابها ، مملتها أنها أصلح الماهد لإعداد القادة السياسيين . فاختر لها حينئذ من بين أطفال الشعب أكثرهم قابلية لتحمل تبعه للقيادة السياسية . أما البقية من أطفال الشعب فأعد لهم المدارس للفنية ، للمناعية والزراعية والتجارية ، حيث يتعلمون المهن التي يصلحون لها . ولما كانت هذه الطبقة من أطفال الشعب ليست بذات خطر فلا داعي لأن يمشوا في المدارس بل أتركهم يعيشوا مع أهلهم ، ويحضروا للدروس بالنهار فقط . أما أولئك الذين اخترتهم للولس أولاد الأعيان فخدمهم بتربية صارمة ، وامنعهم من رؤية ذويهم إلا في أيام الأعياد والإجازات العامة ، وصير هذه المدارس في نظنها الرياضي البدني وفي بساطتها كمدارس اسبارطة القديمة ، وخلت كلاميد هذه المدارس يخدمون أنفسهم بأنفسهم ، فلا فراشين ولا قراشات ، ولا مشرفين ولا ممرضات ، ولا أي فرد من هؤلاء الذين يحوطون الأولاد بالمنايا والمطف ، ويحرصون في قوسهم النومة والرقه التي تصنف من خشونة تكوينهم . واجعل التعليم